رشدي أباظة... فارس النساء وإمبراطور السينما (8)

| القاهرة - من عماد إيهاب |

عاش حرا ومات حرا، مثلما عاش غريبا في صحبة الجميع، جريحا في أحضان دافئة، وفي غمرة الألم والضياع العاطفي، كان يخطو بثبات نحو قمة السينما العربية، حتى لقب بـ «إمبراطور السينما العربية».

إنه الفنان الـ «دون جوان» المصري الراحل رشدي أباظة (3 أغسطس 1927 - 27 أغسطس 1980)، الذي نستعرض أبرز وأهم جوانب حياته، منذ أبصر النور، وحتى أسدل الموت الستار على حياته، التي حفلت بالنساء والفن، وأشياء أخرى.

لم تكن مسيرة رشدي أباظة الإنسانية سيرة عادية، مثل أناس كثيرين، كما لم تكن سيرته الفنية سيرة تقليدية، مثل فنانين كثيرين، ولكن الفتى الأباظي كان فريدا ومختلفا ومتفردا في أدق تفاصيل حياته، منذ أن ولد لوالدين مطلقين، مرورا بطفولة غير طبيعية، تسببت فيها ظروفه الأسرية، ثم بفترة صباه وشبابه، ثم اقتحامه عالم السينما، الذي لم يخطط له يوما، وما تلاه من نجومية وشهرة وأضواء، وصولا إلى مشهد النهاية، عندما تمكن منه مرض السرطان، وأنهى حياته عن 53 عاما.

ومثلما كان رشدي إمبراطورا للسينما العربية كما سيقرأ قارئ «الراي» هذه الحلقات المسلسلة، التي حصلنا على أجزاء من تفاصيلها من مذكرات الفنان الأباظي الراحل فكري أباظة «شقيق رشدي أباظة»، والتي رواها للزميل أحمد السماحي، ويصدرها قريبا في كتاب يتضمنها كاملة فإنه كان فارسا مغوارا في أحضان أجمل الجميلات، وأكثرهن إثارة حتى باتت حياته سلسلة من التجارب والعلاقات العابرة، فقد كان يرى نفسه بحارا غريبا بلا أرض أو شراع، يقطع البحار والمحيطات، بحثا عن يابسة لا يعرف ملامحها، وفي بخته البائس كان عليه أن يطأ يابسة من آن لآخر، ربما حتى لا ينسى ملمس الأرض وطعم الرمال.

كان رشدي أباظة غواصا في بحر النساء، يغادر قلبا إلى آخر، ويسدل الستار على قصة ساخنة ليبدأ فصولا أخرى، لا يهاب أحدا، حتى لو كان الملك فاروق نفسه، الذي نافسه على أكثر من فاتنة، ولكن رشدي كان يحسم كل الجولات والمغامرات لمصلحته، لوسامته ورجولته التي كانت حديث النساء في عصره.

فيلم إيطالي أعاد له أحلامه

الفتى الأباظي... وأمل في نجومية مفقودة

لم تدم عزلة «رشدي أباظة» بعد فشل فيلمه الأول، ففي العام 1949 جاء إلى القاهرة المخرج الإيطالي «جو فريدو السندريني» لتصوير مشاهد أحد أفلامه، وأقامت الجالية الإيطالية مأدبة عشاء لفريق العمل، وفي أثناء العشاء تطرق الحديث بين الحضور إلى الفيلم الجديد، وأفصح المخرج عن رغبته في إسناد البطولة إلى وجه جديد، فطرح عليه أحد المدعوين اسم «رشدي أباظة»، فطلب المخرج أن يراه وجاء الإيطاليون بفتاهم الوسيم، ولم تستغرق المقابلة سوى دقائق قليلة، إذ اكتشف «السندريني» أنه أمام شاب مصري يتحدث الإيطالية بطلاقة، فرحب به، ووقع معه عقد فيلم «أمينة» مقابل أجر يبلغ 500 جنيه، وكان هذا الأجر يمثل ثلاثة أضعاف أجر «رشدي» في فيلمه الأول.

وكان الفيلم الإيطالي فاتحة خير عليه، إذ رشحه المخرج «ولي الدين سامح» في الفترة نفسها تقريبا لدور في فيلمه «ذو الوجهين»... ومن أجره في الفيلم الإيطالي اشترى النجم الشاب سيارة تحولت بعد ذلك إلى جزء أصيل وحميم من حياته.

مشهد سينمائي

اباظة مع مريم فخر الدين

> اكتشف «السندريني» أنه أمام شاب مصري يتحدث الإيطالية بطلاقة فرحب به ووقّع معه عقد فيلم «أمينة» مقابل أجر 500 جنيه

حب جديد

هكذا عادت الحياة إلى شرايين النجم بداخل الـ «دون جوان» الوسيم، وبدا ذلك واضحا على ملامح وقسمات وجهه، وازدادت ومضات الجاذبية في شخصيته، ومعها تضاعفت قدرته على «خطف» قلوب النساء، وكان هذا التحول البداية الحقيقية لقصة حب جديدة وساخنة إلى حد الاشتعال، ففي إحدى السهرات التي كانت تجمع نجوم الفن والمجتمع في نهاية الأربعينات، كان «رشدي» يجلس في منزل «سهيل بولاد» صديقه وجاره في عمارة ميدان الأوبرا، وحين دقت الساعة الـ «12»، دق جرس الباب، ودخلت فتاة يصعب أن تكتفي بالنفاذ إلى القلب، جمالها - كما وصفها رشدي - يرسم حدود الرغبة في عيون الرجال، مزيج نادر بين سحر وهدوء الجمال المصري وتمرد وسخونة الفتنة الأوروبية، تسمرت عينا «رشدي أباظة» على هذا السهم الأنثوي الجميل، وبينما حاولت تجنب التقاء نظراتهما، تمكن الفتى من تحقيق هذا الالتقاء، فتراجعت عيناها إلى الوراء، هنا تفجرت بداخله الغريزة «الأباظية» القديمة فخطا إليها بجرأة القناص واستجمع قواه ورجولته وقال بصوت «خشن»:

اسمي رشدي أباظة ممثل سينمائي.

فردت عليه بالفرنسية:

وأنا اسمي «آني بريبيه» مغنية.

فقال بالفرنسية:

لو علمت أنني سأقابلك لتعلمت الغناء أولا حتى أقترب منك.

فردت برقة الأنثى التي تفضل الاستسلام:

أعتقد أن الغناء والتمثيل ليسا بعيدين عن بعضهما بعضا، فكلاهما يعتمد على الصدق في الإحساس.

وبعد حوار طويل بينهما أدرك «رشدي أباظة» أنه أمام امرأة ذات شخصية قوية وتمتلك ثقافة عميقة، وانتهت السهرة من دون أن يظفر منها بابتسامة أو موعد، فاشتعل غيظا، ولكن قبل أن تنصرف حدث ما لم يتوقعه فقد صافحته مودعة.

وقالت:

أنا أغني في الأوبرج ياريت تشرفني غدا !

ابتسم الأباظي الوسيم وأدرك أن الباب لم يغلق تماما، فقد تركته «مواربا»... وحين عاد إلى منزله لم يمر النوم على عينه، فرغم مغامراته النسائية الكثيرة فإن «آني» الفرنسية كانت شيئا آخر، وفي المساء فتح «دولاب» ملابسه، واختار بذلة بيضاء وقميصا أحمر تعبيرا عن أحاسيسه الملتهبة تجاهها، وعلى باب «الأوبرج» الذي دخله للمرة الأولى، سيطرت الرهبة من المكان عليه، فقد سمع عنه كثيرا من أصدقائه وعرف أنه ملتقى الطبقة الراقية والشخصيات المرموقة، وزادت من رهبته الكلمات التي صدمه بها الحارس الذي يقف بالباب حيث سأله: هل يوجد حجز باسمك؟! فرد بالنفي، وطلب منه حجز مائدة على «البيست» باسم رشدي أباظة، فبادره الرجل معتذرا وأبلغه بأن هناك مائدة محجوزة بهذا الاسم من طرف المطربة «آني بريبيه» ولكن ليست على «البيست» وإنما في ركن هادئ.

مرفوضة... دعوة فاروق

في الركن البعيد الهادئ جلس «رشدي أباظة» ينتظر خروج محبوبته إلى الصالة، وبينما أخذت عيناه تتجولان في المكان تسمرت نظراته على وجه رجل يجلس على مائدة مجاورة تفرسه، فأيقن أنه هو الملك فاروق بشحمه ولحمه، وامتزجت الرهبة بالسعادة، فهو يجلس في المكان نفسه الذي يجلس فيه ملك مصر ، فطلب «ويسكي» ليضبط إيقاع عقله! لحظات وأعلن المذيع الداخلي عن بدء أغنية الزهرة البرية الجميلة «آني بريبيه» وبدأت الأضواء تخفت تدريجيا وساد اللون الأحمر المكان، وخرجت «آني» إلى المسرح مرتدية ثوبا أبيض رقيقا وشدت بأغنيات عدة بدت آخرها كأنها توجهها إلى الفتى الوسيم في ركنه البعيد:

من أجله اقتحم الجبال وأعبر البحار

وأهبط إلى الوديان

وأمشي فوق الشوك وأخوض المحال

وحيث يكون أذهب إليه إذا ناداني

فأنا لا أسمعه بأذني، أسمعه بقلبي

لأن كل دقات قلبي من أجله

انتهت الأغنية ووصلت الرسالة إلى «رشدي أباظة» ولم تمض دقائق قليلة حتى حضرت «آني» لتجلس بجواره والتقت أعينهما بإعجاب شديد، وبينما دار حوار رقيق بينهما قطع خيوط الالتقاء الحميم صوت رجل وقف أمامها بأدب جم.

وقال: أنا أنطوان بوللي صديق الملك، وجلالته يدعوك يا مس «آني» إلى مائدته!

فردت «آني» بسرعة:

أرجو أن يتقبل جلالة الملك اعتذاري هذه الليلة لارتباطي بدعوة صديق لي هو مسيو «رشدي أباظة».

انصرف الرجل بأدب وعاد ليخبرها بأن جلالة الملك فاروق يدعوهما معا إلى مائدته، فنظر إليه «رشدي» بغضب وقال وهو يمسك يد «آني» بحرارة: إذا سمحت احنا بنعتذر لجلالته ولا تعد مرة أخرى! اعتذر الرجل بهدوء وانسحب، وبينما ساد الصمت صالة «الأوبرج» تناهى إلى سمع «رشدي» صوت الملك فاروق الغليظ وهو يقول لصديقه «بوللي»:

هوه مين ده اللي قاعد مع «آني»؟

فرد الرجل:

اسمه «رشدي أباظة» ممثل جديد.

فضحك الملك «مجلجلا» ورد بكلمة واحدة في قوة طلقات النار:

طز!

رشدي اباظة

عباقرة تحت العشرين (8)

| القاهرة - من محمد عبدالفتاح |

خص الله بعض البشر بمواهب تميزهم عن غيرهم، وخواص فريدة تؤهلهم لأن يتفوقوا وأن يبدعوا في مجال ما، وعلى مر التاريخ، بدت قدرة الله تعالى واضحة، في براعم اصطفاهم بقدرات خارقة، ومواهب متفردة، نمت وترعرت وتوهجت، عندما وجدت تربة خصبة، وأجواء ملائمة ترحب بالإبداع وتعظم من شأنه، كما أن منها من لم تمنعه متاريس الجهل والتخلف وظروف الحياة الصعبة والقاسية، من البزوغ والظهور بقوة كشمس لا يحجب أشعتها حاجب.

وعلى مدى 15 حلقة، تغوص «الراي» في بحار العباقرة الصغار، الذين نضجت عقولهم مبكرا فأبدعوا في شتى مجالات الحياة سواء الفنية أو العلمية أو العسكرية وقدموا للبشرية خدمات جليلة واختراعات مميزة وهم دون العشرين عاما، لنعلم كيف تربوا، وكيف عاشوا، وكيف بزغت مواهبهم، وكيف تحدوا الصعاب وتغلبوا عليها، وكيف وكيف... ونتعرف عن قرب على ابتكاراتهم واختراعاتهم المميزة التي أفادت ولاتزال تفيد البشرية إلى يومنا هذا منذ أن كانت مجرد فكرة في أذهانهم إلى أن خرجت إلى النور ومراحل تطورها.

وهذه الحلقات ليس الغرض منها التسلية والترفيه في نهار شهر الصيام، ولكنها دروس بليغة، نتعلم منها كيف نكتشف الموهبة ونرعاها ونقدم لها العون والاهتمام، حتى نجني من ورائها المردود الطيب، كما نقدم هذه النماذج المشرفة لأبنائنا الصغار كي يستفيدوا منها ويتخذوا من هؤلاء العباقرة قدوة لهم، ونؤكد أن العباقرة الصغار أولى بالاهتمام والرعاية من سواهم أنصاف الموهوبين الذين يستحوذون على الاهتمام الأكبر والدعم المطلق رغم إسهاماتهم الهزيلة وغير المؤثرة في حياة البشر.

إننا في مجتمعاتنا العربية، نحتاج إلى مجتمع يهتم بمواهب أبنائه الصغار، بدلا من أن يجهد نفسه في تحطيمها بقصد أو من دون قصد؛ فلا يجني إلا فشلا وتدنيا وتأخرا وترهلا على كل المستويات... نحتاج منظومة بناء متكاملة متفاهمة، تعرف هدفها وترسم طريقها جيدا، وتنقب عن المواهب، وتسقيها بماء الحب والتقدير والاحترام والرعاية؛ لتعود إلينا بالخير والنماء، فالاهتمام بموهبة واحدة يعادل الاهتمام بعشر أو عشرين بل ألف من الشخصيات العادية التقليدي

ابتكر أول اختراعاته قبل أن يتم عامه العشرين... واستضافته «الراي» (2 من 2)

مهند أبودية... عبقرية مبكرة ونبوغ علمي متميّز

> قال له الملك عبدالله: السعودية تفخر بوجودك ضمن أفرادها

> ابتكر قلما يساعد المرضى والأطفال على الكتابة... وقفازا يترجم لغة الإشارة

مهند أبودية

كما تمكن مهند أبودية من تصميم أقلام ذات نهايات ممغنطة تتفاعل مع ورق خاص، تمت إضافة بعض الأنسجة المعدنية إليه، ويمكن وضع هذه الأنسجة في الدفاتر العادية ما يحسن خط المستخدم لهذه التقنية بنسبة تصل إلى 60 في المئة.

وقال: «الابتكار ليس فقط خاصا بالكتابة باللغة العربية، بل لكل اللغات المكتوبة ماعدا بعض اللغات الشرق آسيوية التي تكون الكتابة فيها من الأعلى إلى الأسفل».

ووفقا لصحيفة الوطن السعودية في عدد قديم... فقد ابتكر مهند قفازا يحول لغة الإشارة إلى صوت ، وتتلخص فكرة الابتكار في ارتداء الشخص قفازين متصلين بجهاز كمبيوتر صغير يوضع في الجيب ومن ثم يضغط زر التحدث وزر اختيار اللغة وبينما هو يتحدث بلغة الإشارة تقوم المجسات الموضوعة في القفازين بالتعرف على تلك الإشارات ومن ثم ترسلها إلى الكمبيوتر الذي يحلل بدوره تلك الإشارات ويقوم بتحويلها إلى أصوات عبر مكبرات صوت صغيرة مثبتة في طرفي القفازين... ويمكن اختيار نبرة الصوت لكي تناسب الشخص إن كان طفلا أو امرأة أو رجلا.

وأشارت مواقع إلكترونية... إلى أنه اخترع حذاء جديدا للسرعة هو عبارة عن وسيلة جديدة للمواصلات الفردية تضم زوجا من الأحذية الرياضية المزودة بالعجلات، ولكن ما يميز هذه الأحذية الرياضية المزودة بالعجلات، أنها تعمل بالكهرباء فكل حذاء منهما موصل بمحرك كهربائي «في قاعدة العجلة» يمكن أن يتم التحكم به عن طريق ساعة اليد ويمكن التحكم بالاتجاهات عن طريق ميلان جسم المستخدم إلى الجهة التي يريد الذهاب إليها. وابتكر سماعة أذن تنبه من يضعها ما إذا كانت وضعية جلوسه خاطئة أم لا.

ويعتبر مهند أبودية من أنشط المخترعين الذين تركوا ومازالوا بصمات مؤثرة على الصعيدين العلمي والاجتماعي في مجال الاختراع رغم صغر سنه، حيث شارك في أول فريق علمي سعودي لصناعة السرعات النووية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وأنشأ مركزا للإنتاج الإعلامي العلمي وشركة للإلكترونيات المتخصصة ، بالإضافة إلى أكبر شبكة مواقع على الإنترنت للعلوم الفيزيائية باللغة العربية.

كما أنشأ الفرع السعودي في الجمعية الدولية لطلاب الفيزياء، وحاصل على المركز الأول في مسابقة الفيزياء على مستوى السعودية، وحصل على المركز الثاني في مسابقة الكيمياء على مستوى المملكة.

وفي 3 من أبريل من العام 2008 تعطلت سيارة مهند أبودية على الطريق عند سفره إلى الرياض وأثناء قيامه بإصلاحها اصطدمت به وبسيارته إحدى السيارات الطائشة ما أدى إلى إصابته في الدماغ وانتهى الأمر في ما بعد بإصابته بالعمى.

كما بتر الطبيب ساقه اليمنى بالخطأ ودخل في غيبوبة لمدة 20 يوما وقتها ظن الكثيرون أن هذه هي النهاية لذلك المخترع العبقري وجزموا بأنه لن تقوم له قائمة بعد ذلك.

غير أن مهند فاجأ الجميع وخرج من محنته أشد عزما وتصميما على مواصلة طريقه وقال . في حوار صحافي معه : إنني لم أذرف ولا دمعة واحدة بعد استيقاظي من الغيبوبة واكتشافي ما لحق بي من إصابات، وقد صدر عنوان في إحدى الصحف عن الحادث نصه «حادث مروع يحكي نهاية المخترع السعودي مهند أبودية»... وقال مهند إن هذا العنوان كان أصعب عليه من الحادث نفسه .

وبعد الحادث تحول العبقري الشاب إلى لهيب من الحماس يكاد يلتهم ما حوله، وقد برر ذلك في أحد لقاءاته قائلا: «إن كنت أتغذي على التحديات فإن الله رزقني وجبة دسمة من التحديات». وفاجأ كل من حوله أنه بعد الحادث ألقى ما يزيد على 100 محاضرة جماهيرية، وأخذ عدة اعتمادات دولية من عدة جهات أوروبية. وأنشأ مركزا علميا اسمه المركز السعودي لثقافة الاختراع. وبلغ عدد الاختراعات المسجلة باسمه 22 اختراعا مميزا

مهند الحكيم

وبعد الحادث الذي وقع للشاب بعد فترة قصيرة من زواجه أصبح مهند أكثر حكمة وردد عبارات حكم ومواعظ ذات معان رائعة، فقد قال عندما سئل عن كيفية يومياته بعد الحادث وفقد ساقه اليمنى وبصره: إن لاعبي البلايستيشن يضعون اللعبة على الوضع الصعب لكي يشعروا بالإثارة، فأنا الآن ألعب نفس حياتي السابقة ولكن على الوضع الصعب.

وعندما سئل ماذا قدم له الحادث قال : إنني مثل السهم أحتاج لقوة تشدني إلى الخلف لكي أنطلق بقوة إلى الأمام.

وقد حل ضيفا على برنامج «بيني وبينكم» في قناة «الراي» مع الشيخ محمد العوضي بعد الحادث بسنة ونصف السنة، وقد ختم الحلقة بقوله: إن كنت فقدت إحدى ساقي فأنا أقف على جبل من الطموح... ونزع نظارته السوداء وقام بتحطيمها بيده قائلا :

أن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور... ورمي بها أرضا. في إشارة حقيقية إلى أنه لن يعيقك عائق إذا كنت تملك إرادة فولاذية.

وقال: إنني أتغذي على التحديات، فإذا قال لي أحدهم «أتحداك» فإن الإدرنالين يعمل بجسمي.

وقال إنه قد حفر على مكتبه بالفرجار مقولة: إذا سخر منك الناس فأنت في الطريق الصحيح.